المحاضره الحادية والعشرون

" فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامه عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ "

قـــال الشيـخ :-

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بســــــم الله الرحمـــــن الرحيـــم الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسَلَّمَ تسليمـاً كثيرا ، أمَّـــا بعدُ :

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله وأحسنُ الهدي هديُ نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها ، وكلَّ مُحدَثَةٍ بدعه وكلَّ بدعَةٍ ضلاله وكلَّ ضلالةٍ في النار .

نستكملُ رحلتنا بحولِ الله وقوته مع فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامه عبد الرحمن بن حسن بن آل الشيخ رحمه الله وطيَّب ثراه .

ما زلنا بحولِ الله وقوته مع كتاب التوحيد وباب " تفسيرِ التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلا الله "

سنتكلم في معنـاً من معاني شهادة أن لا إله إلا الله وأحد معاني تفسير كلمةِ التوحيد من خلالِ آيةِ الزخرف وقولِ اللهِ سبحانه وتعالــى :-

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً في عَقِبِهِ لَعَلَّهم يَرْجِعُونَ "

وهنا الشيخ ياسر حفظه اللهُ تعالــى حشّى على هذا الموضع من كتاب التوحيد وشرحِهِ فتح المجيد بقضيه من أكبر القضايا العقديه ألا وهي المفاصله والمُمايزه بين المسلمين وغير المسلمين ورفع راية الولاءِ والبراء في أقربِ موضع من مواضعهافي كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد فعَلَّقَ في فضل الغني الحميد حفظه اللهُ تعالــى تعليقاتٍ مهمه .

هنا كلام الشيخُ العلامه عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في تعليقه على إستدلالِ الشيخ بالآيه صاحبِ كتابِ التوحيد .

قال قولُه ، وقولِ الله عزَّ وجلَّ

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ..." .

قـــــال العمادُ بنُ كثير رحمَهُ الله :-

يقولُ تعالــى مُخبِراً عن عبدِهِ ورَسولِهِ وخليلِهِ إمامُ الحُنَفاء ووالدِ من بُعِثّ بعدَهُ من الأنبياء الذي تُنسَبُ إليهِ قُرَيشٌ في نسبِها ومذهبِها أنَّه تبرأمن أبيه وقومِهِ في عبادتِهِم الأوثان فقالَ " إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ "

يقولُ أي أن هذه الكلمه التي جعلها في عقِبِهِ هي كلمة التوحيد وهي عبادةُ اللهِ وحدَهُ لا شريكَ له وخلعِ ما سِواهُ من الأوثان وهي " لا إلــه إلا الله " جعلهـا في ذُرّيَتهِ يُقتدى به فيهـا من هداهُ اللهُ من ذُرّيــةِ إبراهيمَ عليه السلام لعلهم يرجعون إليهـا (أي يضبطونَ أُمورَهم عليهـا ويضعونَ موازينَ الحياه على قواعِدِها ويتحاكمونَ في حلالِهِم وحرامهم وحربِهم وسِلمهم عليهـا " .

قـــالَ عِكرمةُ ومُجاهِدٌ والضحاك وقتادةُ والسُدِّيُ في قولِهِ تعالـــى :

" وجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً في عَقِبِهِ لَعَلَّهم يَرْجِعُونَ" قـــالوا يعني " لا إله إلا الله "

لا يزالُ في ذُرّيته من يقولُها (أي يقولُها قائماً بأمرها)

وهنا الشيخ العلامه عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ صاحب كتاب فتح المجيد يختصر علينا الطريق ، ينقل كلام الشيخ ابن كثير عند استشهاد الشيخ ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى على بابٍ من الأبواب أو مسأله من المسائل بآياتٍ من القرءان ،لأن تفسير ابن كثير هو من أدَق تفسرٍوأحسنه وأجمعه في التفاسير السلفيةِ الأثريه ، ويعتبر ملخص وتجريد لكتاب الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله عزَّ وجلَّ مع مناقشات ومراجعات وترجيحات خلاف ما اختاره واستقر عليه الإمام المفسر جبل العالم ابن جرير الطبري رحمه الله ، فخلاصة الكلام أن ابن كثيركأنَّ تفاسير السلف بين عينيه وحتى أن بعض المعاصرين (الدكتور العلامه / محمد محمد أبو شهبه رحمه الله) يقول وتفسيرُ ابنُ كثير من أصَح التفاسير إن لم يكن أصحها على الإطلاق .

يقول وروى ابن جرير عن قتاده في قوله تعالــى :-

" إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ..." .

قال : كانوا يقولون اللهُ ربُنا (يعني المشركون)

ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُنَّ الله ، فلم يبرأ من ربهِ .

قوله (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ)

قــــال الشيخ :-

يدل على أن المشركين عندهم نوع عباده لله والدليل إثبات المحبه لهم كما مضى قوله تعالــى:- (وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَتخِذُ من دونِ اللهِ أنداداً يُحبونهم كحب الله)

فهم لا يكرهون الله جملةً وتفصيلاً لكن يُحِبونه حُبَّ عباده ويُشركون معه غيرَهُ فيها

فلما قال (إنني براءٌ مما تعبدون) فلفظة (ما تعبدون) من ألفاظ العموم فكأنه عمَّمَ البراءةَ من كلِ معبود يعبُدُهُ قومُه لكنه استثنى (إلا الذي فطرني) لأنهم لو سُئِلوا من خلقكم ؟

(ليقولُنَّ الله) ، لو سُئِلوا (من خلقَ السمواتِ والأرض) ليقولُنَّ الله .

الأثر رواهُ عبد بنُ حُمَيد في تفسيرِه رحمه الله .

قال وروى ابن جريرِ وابن المنذر عن قتاده في تفسير الآيه :-

" وجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً في عَقِبِهِ " قـــال الإخلاصُ والتوحيد ، لا يزالُ في ذُرِيَّتِهِ من يعبُدُ الله ويُوَحدهُ (صلواتُ اللهِ عليه) .

تعليق الشيخ العلامه عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :-

يقول ، قلتُ : فتبين أن معنى (لا إلـه إلا الله) توحيدُ اللهِ بإخلاص العبادةِ له والبراءه من كلِ ماسواه .

قـــال الشيخ :-

ولذلك شيخُ الإسلامِ ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالـــى في كتُبِه المختصره مثل (كتب التوحيد للأطفال ، وشرح معنى لا إله إلا الله وغيرها) يقول أن خلاصة الإسلام في أربعةِ كلمات هي :

الاستسلامُ لله بالتوحيد ، والانقيادُ له بالطاعه ، والخلوصُ من الشركِ ، والبراءةُ من أهلهِ .

قـــــال المصنفُ رحمه الله :-

وذكرَ سبحانه أن هذه البراءه وهذه الموالاه هي شهادةُ أن لا إله إلا الله .

فنحن مع معنى من معاني تحقيقِ لا إلـه إلا الله وتفسير لا إله إلا الله الا وهو إخلاصُ الولاءِ لله وللمؤمنين ، وإخلاصُ البراء من الكفرِ والكافرين .

قــال وفي هذا المعنى يقولُ العلامةُ الحافظُ ابن القيم رحمه اللهُ وطيبَ ثراه (في الكافيةِ الشافيه)

فإذا تواڵاهُ امرُؤٌ دونَ الوَرَى .... طُرَّاً تَولَّاهُ العظيمُ الشَّانِ

قـــــال الشيخ :-

يعني : إذا توليت الله تولاك وإذا اخلصت ولائك له فإن الله عزَّ وجلَّ وليُ الذين آمنوا (الله وليُ الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور) وعلى قدر إيمان العبد على قدرِ تولي اللهِ له .

قضيةُ الولاءِ والبَراء

يقولُ الشيخ ياسر حفظه الله تعالــى في الفضلِ مُعلِقــاً على هذا الجزء من كتاب التوحيد إنَّ قضيةَ الولاءِ والبراءِ ركنٌ من أركانِ التوحيد ومقتضى كلمة لا إلــه إلا الله وقد كثُرَ بيانُها في القرءان والسُنه شأنُها شأن كلِ القضايا (قضايا العقيده) وكثُرَ بيانُ أحكامِها ولوازِمِها وما يترتبُ عليها في الدنيا والآخره .

ويعني بالولاء ← المولاه الواجبه للهِ ولرسوله وللمؤمنين ولازمُها حُرمةُ المولاةِ للكافرين .

قـــال الشيخ :-

يعنى إذا صفت محبَّةُ العبدِ لله حقيقةً كان لازمــاً ولابد أن يكونَ مُتَبَرِءاً من ضد التوحيد وأهل الإيمان .

قال ويعني بالبراء ← التبرأ من الشرك وأهله وعداوتَهُم وبُغضَهُم ، قــال الله تعالــى مُبَينــاً حُرمة اتخاذ اليهودِ والنصارى أولياء وأن من والآهم يكونُ منهم ،

قـــال تعالـــى :-

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ "

قـــال الشيخ :-

(فإنه منهم) أي يهودي أو نصراني ، ولكن ما صورةُ الولاء التي تؤولُ بالعبد إلى أن يكونَ من اليهود أو إلى أن يكونَ من النصارى أو أن يخرج من دائرةِ الإسلام إلى دائرة الكفران ؟

قال ، قبل الخوض في هذا الباب لازم يكون هناك تصور منضبط لقضايا الإيمان لأننا نعرف أنَّ في هذا الكتاب يعرض وسائل أهل السنه وأهل الإسلام يعرضون قضية موالاة غير المسلمين ، موالاة الكفار ، موالاة أعداء الله عزَّ وجلَّ ورسله وأنبياءه يضعونها في جملةِ الكفر (أي أنها من جملة الأشياء المُكَفره) ،

فيجب أن نعرف متى تكونُ المولاةُ لغيرِ المسلمين كفراً ومتى تكونُ توليةُ المشركينَ كفراً ، فبناءاً على فهم الشخص لقضية الإيمان سيبدأ في تصور قضايا المكفرات كلها ومنها قضية موالاة غير المسلمين أو البراءه من المسلمين .

فنقول باختصار أنَّ الإيمان قولٌ وعمل ظاهرٌ وباطنٌ وهو بذلك قولُ اللسان وقولُ القلب وعملُ القلب وعملُ الجوارح وهذه أربع محاور يقوم عليها الإيمان ولكلٍ من هذه الأربعه أصلٌ وكمال (الكمال واجبٌ أومستحب) وعندما نعرف أنَّ الإيمان ضدُه الكفر والكفرُ هو إنعدامُ الإيمانِ باتفاقِ أهلِ السُنه سواءٌ تحقَقَ ضدُه في القلب أم لا فلابد أن نفهم نقطةٌ هامه لأن بعض الناس متصورون أن الكفر لا يكونُ إلا ضد الإيمان ولذلك قالوا أن الكفر هو ← الجحود ، والجحود عمل قلبي ولا يظهر إلا باللسان فعندهم لو أنَّ الإنسان في الباطن مُكّذِب فقط بالإيمان ، وبالله ، وبالرسولِ واليومِ الآخر يكونُ منافقاً لو أظهره بلسانه يكون كافراً ظاهراً وباطنـاً (وهذا الجزء صحيح) ، لكن كون الكفر منحصراً فقط في هذا المعنى فهذا هو الضلالُ المُبين ، بل إنَّ أئمةِ الإسلام الكبار والمحققين أمثال شيخ الإسلام رحمه الله تعالـى

ينُصونَ على كُفر هذه الطائفه من المُرجئه الذين جعلوا الكفرَ لا يكونُ إلا بالجحودِ فقط ، لأن لدينا أنواع كثيره جداً للكفر جاءت بها أدلة القرءان وأدلة السُنه وأجمعَ عليها أهلُ العِلمِ قاطبةً جيلاً بعد جيل .

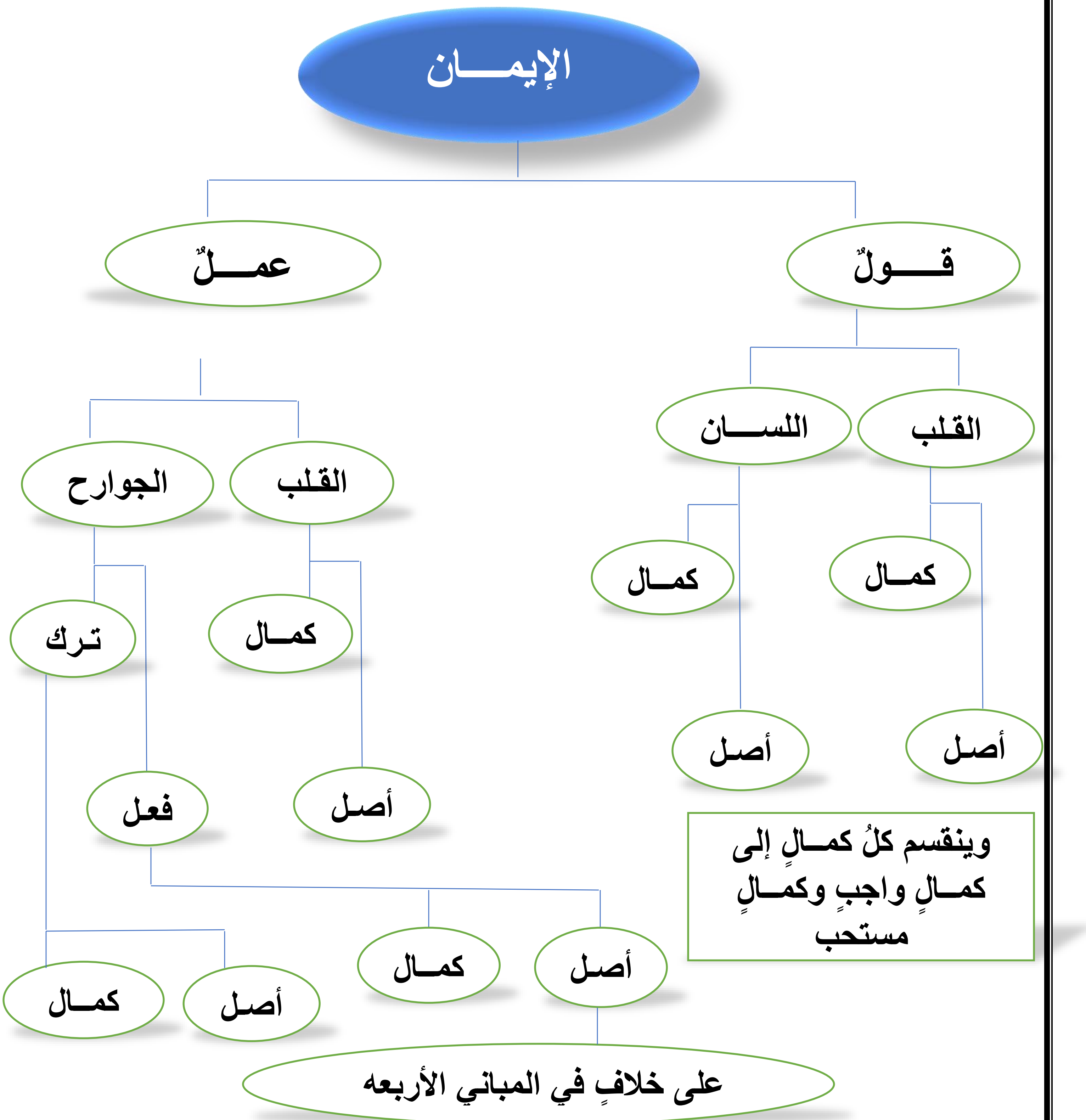
نقول أن الكفر حقيقته هو إنعدام الإيمان وهذا الانعدام بيحصل بشيءٍ من اثنين :

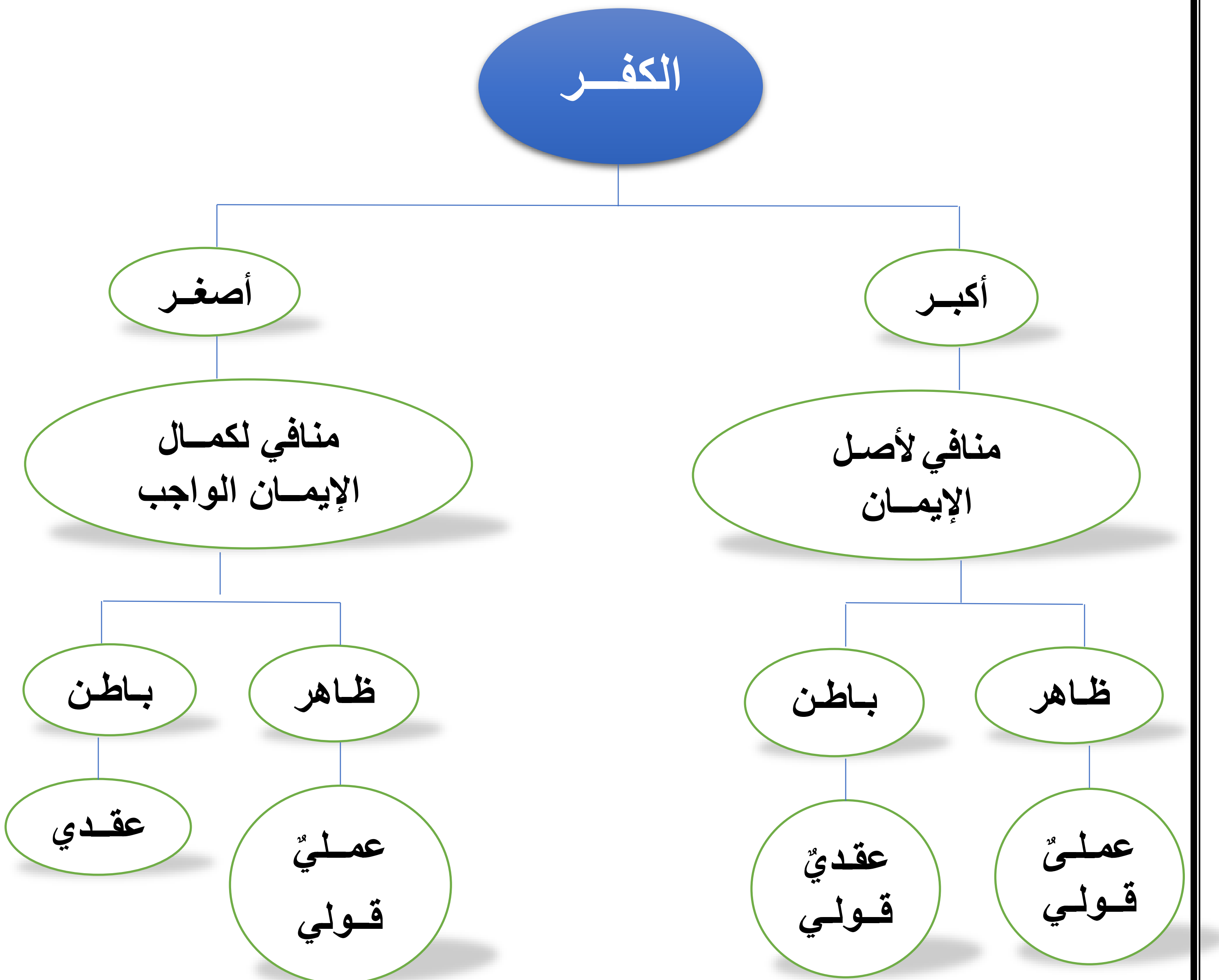
إمَّـا بانتفاءِ الأصل أو حصولُ الضدِ لهذا الأصل (وهذا هو الكفر الأكبر)

فالكفر المنافي لأصل الإيمان الظاهر ← يساوي كفراً ظاهر

والكفر المنافي لأصل الإيمان الباطن ← يساوي كفراً باطن

سواء كان قـولاً أو عمـلاً .

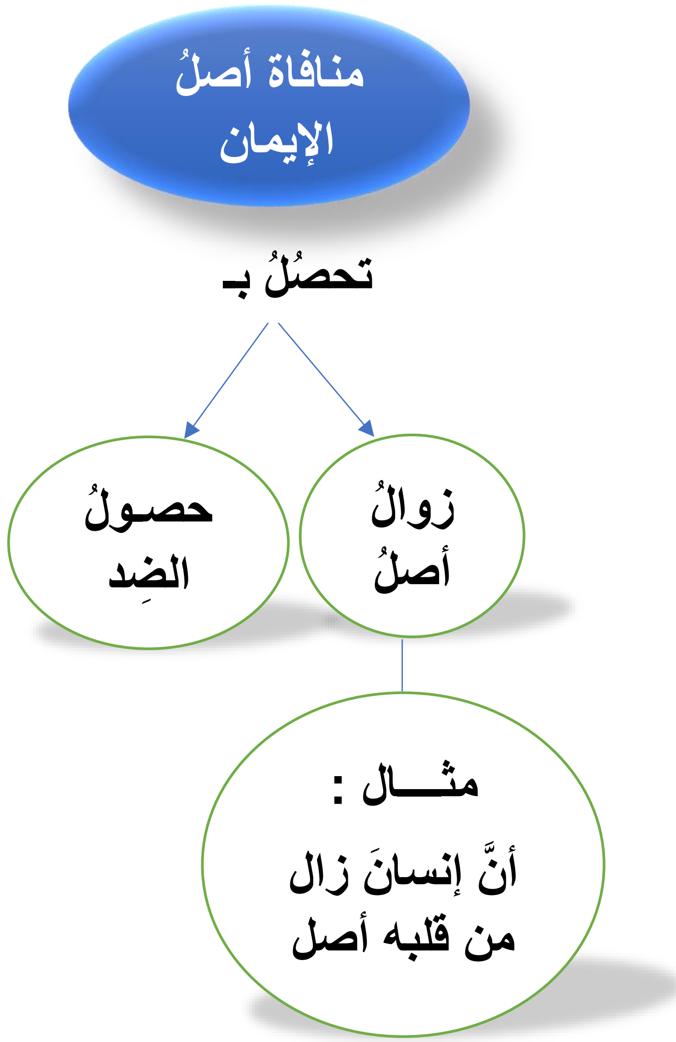

الإيمـــان
قـــولٌ
عمـــلٌ
القلب
اللســـان
كمـال
أصل
كمـال
أصل
الجوارح
القلب
تـرك
كمـال
فعل
أصل
وينقسم كلُ كمـالٍ إلى كمـالٍ واجبٍ وكمـالٍ مستحب
كمـال
أصل
كمـال
أصل
على خلافٍ في المباني الأربعه



أنـــــــواع المــوالاه

النطق بكلمة الكفر / النطق بإبطال الدين أو النبوه أو الإلـــهيه

وبالأعمال : أنه يُظهر شعار الكفار إختياراً نُصرةً لدينِهم


منافاة أصلُ الإيمان
تحصُلُ بـ
زوالُ أصلُ
حصـولُ الضِد
مثـــال :
أنَّ إنسانَ زال من قلبه أصل

تعليقات الشيخ حفظه الله تعـالـى في فضل الغني الحميد يقول :-

قـــال اللهُ عزَّ وجلَّ مبينـاً حرمة اتخاذ اليهودِ والنصارى أولياءَ من دون الله وأنَّ من والآهم يكونُ منهم

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ "

ويُخبرُ سبحانهُ أنَّ موالآتهم من علامات النفاقِ ومرض القلب ، وأنها سببٌ لحبوط العملِ ، وأنها تستوجبُ الخسران .

قـــــال تعـالـى :-

" فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿52﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿53﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿54﴾ "

وقال سبحانه مبينا أن موالآة الكافرين لا تكونُ بحالٍ من الأحوال من صفاتِ المؤمنين وأن من فعلها فقد برأَ من الله وقد برأَ اللهُ تعـالـى منه .

قـــال اللهُ عزَّ وجلَّ :-

" لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً " وهذا فيه إستثناء أن يُظهِرَ المسلم موالاة الكفار ظاهراً مع عقد قلبه على البراءةِ منهم باطنـاً وهذا يكون في حالة الإكراه فقط ،

ولكن لو أن إنسانـاً أظهرَ الولاء لهم والتبرأ ممن خالفهم من المسلمين طوعـاً بدون إكراه يكونُ كافراً إختياراً .

يقولُ وقد بَيَّنَ الله عزَّ وجلَّ أن الإيمان باللهِ واليوم الآخر ومودةَ الكافرين ولو كانوا من أقرب الأقربين لا يجتمعانِ في قلبٍ واحد .

إذاً لا يجتمع الإيمان بالله مع مودة الكافرين مودةً كُفريَّه لأن الموده مراتب .

فقـــال عزَّ وجلَّ :-

" لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "

وجعل سبحانه وتعــالـى الإسرارَ بالمودةِ للكافرين ولو كان لحمايةِ أهلٍ أو ولدٍ أو مالٍ دون موافقةِ القلبِ على الكُفرِ أو الرضا به علامه على الضلال .

فقـــال اللهُ عزَّ وجلَّ :-

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ

جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ " .

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه وأرضـاهُ قـال :-

بَعَثَنِي رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَا، والزُّبَيْرَ، والمِقْدَادَ، فَقالَ: انْطَلِقُوا حتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فإنَّ بهَا ظَعِينَةً معهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا منها. قالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بنَا خَيْلُنَا حتَّى أتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أخْرِجِي الكِتَابَ، قالَتْ: ما مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قالَ: فأخْرَجَتْهُ مِن عِقَاصِهَا، فأتَيْنَا به رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ: مِن حَاطِبِ بنِ أبِي بَلْتَعَةَ، إلى نَاسٍ بمَكَّةَ مِنَ المُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ ببَعْضِ أمْرِ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يا حَاطِبُ، ما هذا؟! قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ؛ إنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا في قُرَيْشٍ -يقولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، ولَمْ أكُنْ مِن أنْفُسِهَا- وكانَ مَن معكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ مَن لهمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أهْلِيهِمْ وأَمْوَالَهُمْ، فأحْبَبْتُ -إذْ فَاتَنِي ذلكَ مِنَ النَّسَبِ فيهم- أنْ أتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، ولَمْ أفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عن دِينِي، ولَا رِضًا بالكُفْرِ بَعْدَ الإسْلَامِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمَا إنَّه قدْ صَدَقَكُمْ، فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، دَعْنِي أضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ، فَقالَ: إنَّه قدْ شَهِدَ بَدْرًا، وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ علَى مَن شَهِدَ بَدْرًا، فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ؛ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ .

س/ لو أنَّ هذا التجسس لصالح الكفار كان رِدَّةً أكانت تشفعُ له شهادةُ بدر ؟

ج / لا ، لأن الكفر مُحبِط لجميع الأعمال .

زاد البُخاري في كتاب المغازي من صحيحِه فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ سورةُ الممتحنه

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ "

وقـــال سبحانه وتعالــى مُبَيناً للمؤمنينَ الأُسوَةَ الحسنهَ في هذا الباب :-

" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُوَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَك " .

قـــال الشيخ :-

معنى الآيه على سبيلِ الإكمال أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أوجبَ على أهلِ التوحيد من أتباعِ مِلَّةِ إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم أن يتبرأوا من أعداء الدين ولو كانوا أقربَ قريب ولكم في إبراهيم أسوة في كل شئ إلا هذا المشهد وهو (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَك) فلا أُسوَةَ لكم فيه لأنه كان عن عِدَةٍ وَعَدَهُ إياها .

قـــال ابن كثيرٍ رحمه الله :-

أي ولكم في إبراهيم وقومهِ أُسوَةٌ تتأسون بها إلا في إستغفارِ إبراهيم لأبيه ، فإنه إنما كان (أي الاستغفار) عن موعِدَةٍ وعدها إياهُ فلَمَّـا تبينَ له أنه عدُوٌ لله تبرأ منه .

وبَيَّنَ سبحانه وتعـالــى أنَّ من أسبابِ لعنِ بني إسرائيل على ألسِنَةِ أنبياءِ اللهِ عزَّ وجلَّ ورُسُولِهِ تَوَليهِم للكافرين وبَيَّنَ أنَّ ذلكَ سببَ سُخطِ اللهِ عليهم وخلودِهم في النار .

فقـــال سبحانه وتعـالــى :-

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ78 كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَر فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ79 تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِى الْعَذَابِ هُمْ خَـلِدُونَ80 ﴾ .

ثم بَيَّنَ سبحانه أنَّ عدمَ الإيمان باللهِ والنبيِّ والقرآن هو السببُ في هذه الموالاه .

قـــــال الشيخ :-

إذا خربَ الباطن يظهر الخراب على الظاهر ، إذا خربَ باطن الإنسان من الإيمان تظهر موالاة أعداءِ اللهِ عزَّ وجلَّ على الظاهر (الموالاه الكُفريه) ،

ونقوم بفعل هذه الإحتياطات لأن الناسَ قد افترقوا في هذا البابِ الخطيرِ العظيمِ إلى ثلاثةِ فِرَق ،

فريقٌ غالَوا جداً في قضايا البراءه من المشركين حتى جعلوا ما ليس بكفرٍ كفراً بل جعلوا المعاصي كُفراً بل جعلوا بعضِ المباحات كفراً بناءاً على قولهم أنَّ موالاة الكفار بالجمله كُفر ، فلم يُفرِقوا بين كُفرٍ أكبر وكُفرٍ أصغر ، وأنهم حتى مع ما كان كفراً أكبر لم يُفرقوا فيه بين النوع والمُعَيَّن ، أنهم جعلوا الذنوبَ والمعاصي في بابِ الموالاه في منزلةِ الكُفرِيَّاتِ الكِبار التي يرتد بها الإنسان عن الإسلام ، بل غالَوا في ذلك أكثر وجعلوا بعض التصرفات الجائزه مما لا يُعَدُ من موالاةِ الكُفـارِ جعلوها محرمات والمحرمات كُفريات .

قال ثم بَيَّنَ سبحانه أنَّ عدمَ الإيمان باللهِ والنبيِّ والقرآن هو السببُ في هذه الموالاه ، " وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ " .

ثُمَّ بَيَّنَ سبحانه أنَّ عدمَ القيامَ بهذا الركن من أركانِ الإيمان يؤدي إلى الفتنةِ والفسادِ الكبيرِ في الأرض ، فقـــال سبحانه :-

﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا بِأمْوالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ في سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ آوَوْا ونَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهم أوْلِياءُ بَعْضٍ والَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يُهاجِرُوا ما لَكم مِن ولايَتِهِمْ مِن شَيْءٍ حَتّى يُهاجِرُوا وإنِ اسْتَنْصَرُوكم في الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إلّا عَلى قَوْمٍ بَيْنَكم وبَيْنَهم مِيثاقٌ واللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

قـــال الإمامُ ابن كثير :-

أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنةٌ في الدنيا وهو التباسُ الأُمَّه واختلاطُ المؤمنينَ بالكافرين فيقعُ بين الناسِ فسادٌ منتشر عريضٌ طويل ، لأن أحكام الموالاه لا تكونُ واضحه .